المحاضرة السادسة :

دراسة قصيدة ابن الرومي في رثاء ولده محمد.

- ابن الرومي .

- المعنى .

- التحليل الجمالي .

- المناقشة .

أهداف المحاضرة :

١- أن يقرأ الطالب القصيدة قراءة جيدة تنسجم مع تجربة الشاعر.

٢- أن يعي الصلة بين ما مر بحياة الشاعر وغرض الرثاء .

٣- أن يشرح الألفاظ الغريبة شرحا وافيا .

٤- أن يستنبط الصور الفنية في القصيدة .

٥- أن يتلمس الطالب مواطن الجودة والرداءة في القصيدة.

يقول ابن الرومي راثيا ولده الأوسط محمدا الذي توفاه الله صغيرا:

بكاؤُكما يشفى وإن كان لا يُجدي

فجودا فقد أودى نظيرُكمَا عندي

بُنَيَّ الذي أهدْتهُ كَفَّايَ للثَّرَى

فيا عزَّةَ المُهْدَى ويا حَسْرَةَ المُهْدِي

ألا قاتَلَ الله المنايا ورَمْيَها

من القومِ حَبّاتِ القلوبِ على عَمْدِ

توخَّى حِمَامُ الموتِ أوسط صبيتي

فلله كيف اخْتارَ واسطةَ العِقْدِ

على حين شمتُ الخيرَ مِنْ لَمَحاتِهِ

وآنستُ مِن أفعالِه آيةَ الرُّشدِ

على حين شمتُ الخيرَ مِنْ لَمَحاتِهِ

وآنستُ مِن أفعالِه آيةَ الرُّشدِ

طواهُ الرَّدى عنِّي فأضحى مَزَارُهُ

بعيدًا على قُربٍ قريبًا على بُعدِ

لقد أنجزتْ فيه المنايا وعيدَها

وأخْلفتِ الآمالُ ماكان مِنْ وَعْدِ

لقد قلَّ بين الْمَهْدِ واللَّحْدِ لُبْثُهُ

فلم ينسَ عهْدَ المهدِ إذ ضمَّ في اللَّحدِ

تنغَّصَ قبلَ الرّيّ ماءُ حَياتِهِ

وفُجّعَ منه بالعُذُوبَةِ والبَرْدِ

ألحَّ عليه النَّزْفُ حتى أحالَهُ

إلى صُفرةِ الجاديّ عَنْ حُمْرَةِ الوردِ

وظلَّ على الأيدي تَسَاقطُ نَفْسُه

ويَذْوي كما يَذْوي القضيبُ مِن الرَّنْدِ

فيالكِ مِنْ نَفْسٍ تَسَاقطُ أنفسًا

تَسَاقُط دُرّ مِنْ نِظامٍ بلا عِقْدِ

عَجبتُ لقلبي كيف لم ينفطرْ لهُ

ولوْ أنَّهُ أقسى من الحَجَر الصَّلد

بِودِّيَ أني كنتُ قد مْتُ قبْلَهُ

وأنَّ المنايا دُونَهُ صَمَدَتْ صَمْدِي

ولكنَّ ربّي شاءَ غيرَ مشيئتي

وللرَّبِّ إمضاءُ المشيئةِ لا العبدِ

وما سرَّني أنْ بعْتُهُ بثوابه

ولوْ أنَّه التَّخْليدُ في جنَّةِ الخُلدِ

ولا بعْتُهُ طوعًا ولكن عُصِبْتُه

وليس على ظُلْمِ الحوادثِ مِنْ مُعْدي

وإنّي وإن مُتِّعْتُ بابْنَيَّ بعْده

لذاكرُه ما حنَّتِ النِّيبُ في نجدِ

وأولادُنا مثلُ الجَوارح أيُّها

فقدناه كان الفاجعَ البَيّنَ الفقْدِ

لكلِّ مكانٌ لا يسُدُّ اخْتِلالَهُ

مكانُ أخيه في جَزُوع ولا جَلْدِ

هل العينُ بعدَ السَّمْع تكفي مكانَهُ

أم السَّمعُ بعد العين يَهْدِي كما تَهْدي

لَعمْري:لقد حالتْ بيَ الحالُ بعدهُ

فيا ليتَ شِعري كيف حالتْ به بعدِي

ثَكِلتُ سُرُوري كُلَّه إذْ ثَكِلْتُهُ

وأصبحتُ في لذَّاتِ عيشي أخا زُهْدِ

أرَيحانَةَ العَينين والأنفِ والحشا

ألا ليتَ شعري هلْ تغيَّرتَ عنْ عَهْدي

سأسقيكَ ماءَ العين ما أسْعدتْ به

وإن كانَتِ السُّقيا مِنَ الدَّمع لا تُجدي

أعينيَّ:جودا لي فقد جُدْتُ للثَّرى

بأنْفسَ ممَّا تُسألان من الرِّفدِ

أعينيَّ:إنْ لا تُسعداني ألَمْكُما

وإن تُسعداني اليومَ تَستوجِبَا حَمْدي

عذرتُكما لو تُشْغلان عَن البكا

بنومٍ وما نومُ الشَّجيّ أخي الجَهْدِ

أقَرَّةَ عَيْني:قدْ أطلْتَ بُكاءَها

وغادرْتَها أقْذى مِنَ الأعْيُنِ الرُّمْدِ

أقَرَّةَ عيني:لو فدى الحَيُّ ميّتًا

فديتُك بالحوباء أوَّلَ مَنْ يَفْدِي

كأنِّيَ ما استَمْتَعتُ منك بنظرة

ولا قُبلةٍ أحلى مذاقًا مِن الشَّهدِ

كأنَّيَ ما استمتعتُ منك بضَمَّةٍ

ولا شمَّةٍ في ملْعبٍ لك أو مَهْدِ

ألامُ لِمَا أبدي عليْك مِنَ الأسى

وإني لأخفي منه أضعافَ ما أبدي

محمَّدُ:ما شيءٌ تُوهِّمُ سَلوةً

لقلبي إلاَّ زاد قلبي مِنَ الوجْدِ

أرى أخَوَيْكَ الباقِيَيْن فإنما

يكونان للأحزَان أوْرَى مِنَ الزَّنْدِ

إذا لعِبا في مَلْعَبٍ لك لذَّعا

فؤادي بمثْلِ النار عنْ غير ما قصدِ

فما فيهما لي سَلوةٌ بلْ حَزَازَةٌ

يَهيجانِها دُوني وأشقى بها وحدي

وأنتَ وإن أفردْتَ في دار وحْشةٍ

فإنّي بدار الأنس في وَحْشَةِ الفرد

أودُّ إذا ما الموتُ أوفدَ مَعشَرًا

إلى عَسْكِر الأمواتِ أنّي مِنَ الوفْدِ

ومَنْ كانَ يَستَهْدي حَبيبًا هَديَّةً

فطيفُ خيالٍ منكَ في النومِ أستهدي

عليك سلامُ الله منّي تَحيَّةً

ومِنْ كلّ غيثٍ صادق البرْق والرَّعدِ

ابن الرومي :

أبو الحسن علي بن جريج ، رومي العرق من جهة أبيه ، وأمه فارسية الأصل ، من شعراء العصر العباسي ، عاش في القرن الثالث الهجري (٢٢١ - ٢٨٤هـ) ولد في بغداد ، وقضى فيها حياته ، نظم الشعر باكرا ، وأجاد نظمه ، نظم في فنون الشعر جميعا ، أجاد في الوصف والهجاء ، واشتهر بتوليد المعاني وتقصيها . عرف بالتشاؤم والقلق والشك في الناس لمزاجه الحاد ، أورثه فقد زوجته وأبنائه حزنا عميقا .

تظهر قدرة ابن الرومي على استقصاء المعاني والإيغال فيها إلى درجة كبيرة ، وقد ترك العصر الذي عاش فيه ابن الرومي ، بصمته الواضحة على منهج الشاعر العقلي، وميله لشعر الحكمة وتعاطيه الفلسفة.
وعلى الرغم من أن مراثي ابن الرومي قليلة ولا ترقى إلى بقية الأغراض في شعره إلا أن النزعة العقلية تسربت في أحسن مراثيه وهي قصيدته الشهيرة في ولده الأوسط «محمد» الذي مات منزوفاً ولما يزل طفلاً.وقصيدته هذه تفجرت حزناً وجزعاً على واسطة العقد!! وأخرجت مشهداً تاماً عن حياة طفله، ومرضه وذبوله.وتأبى النزعة العقلية لدى ابن الرومي إلا أن تظهر نفسها في مطلع قصيدة الرثاء هذه:

بكاؤُكما يشفي وإن كان لا يُجدى

فجودا فقد أودى نظيرُكمَا عندي

فهو يخاطب عينيه مقرراً أن البكاء له أهمية في تخفيف الحزن «التطهير النفسي»، فهو يريح النفس البشرية... ومع حتميته - وفق رأي الشاعر- إلا أنه لا يجدي!! لأن البكاء والتفجع لا يعيدان الميت.. والنزعة العقلية هنا واضحة ومتأثرة بالعلوم الدخيلة مع الثقافة العربية آنذاك كعلم الفلسفة والمنطق.

ثم يميل الشاعر إلى عقد مقارنات هي من صميم حزنه وألمه على فراق ابنه ، فالسرير فارغ، وهذا الملعب فقد اللاعب، بل إن أخويه الباقيين يتحولان إلى مصدر عذاب، لا إلى مصدر عزاء ؛ لأنهما يذكران به. وتعاود النزعة العقلية الظهور على طريقة لم تكن معهودة في المراثي العربية القريبة العهد بعهد الشاعر.

إذا لعبا في ملعب لك لذعا

فؤادي بمثل النار عن غير ما قصد

فما فيهما لي سلوة بل حرارة

يهيجانها دوني وأشقى بها وحدي

بعد ذلك تعاود نزعته العقلية الظهور على شكل حكمة فيقول:

وأنت وإن أفردت في دار وحشة

فإني بدار الأنس في وحشة الفرد

عدم التكيف مع مجتمع السمر نتج هنا عن الحزن الذي يعزل صاحبه بكثرة التفكير فكأنه وحيد في عالم اللاوَحد!!
ومع حزنه العميق وعاطفته المتدفقة ، يلح الخيال مرة أخري ويتنازل الرثاء هذه المرة لغرض الوصف الذي يغلب على الرثاء أحياناً!!يصف ابنه المحتضر فيقول:

ألح عليه النزف حتى أحاله

إلى صفرة الجادي عن حمرة الورد

كما أنه لم يتخل عن النزعة المنطقية .. فهاهو يبرر لنا استحالة التماسه التعزية في ولديه الباقيين: وأولادنا مثل الجوارح أيها

فقدناه كان الفاجع البين الفقد

لكلِ مكانٌ لا يسد اختلاله

مكان أخيه من جزوع ولا جلد

هل العين بعد السمع تكفي مكانه؟

أم السمع بعد العين يهدى كما تهدي؟

وهكذا يصبح عزاء الشاعر «والذي عبر عنه في قصيدة أخرى»، هو الموت!!
كيف يكون الموت عزاء؟! فتجيب النزعة العقلية: إن الموت هو الحل الوحيد للالتقاء بمن يحب في الدار الآخرة.وكيف يكون القبر وطناً؟! لأنه القبر هو أولى منازل هذه الدار.. حزن عميق .. وعويل، وتفجع تخفف آلامه تلك النزعات العقلية والتي تمنحه قراءة سنة الحياة.. ثم الإيمان بها.

وبالنظر إلى القصيدة تبدو نزعة التعليل والتفسير والمقابلة والتفصيل واضحة في ثناياها، فالشاعر لا يكتفي بعرض موقف ما بل يعمد إلى تعزيز موقفه بالأدلة والبراهين فهو لا يمكن أن ينسى ولده المتوفى وإن متع بابنيه بعده، فلكل ولد مكانته الخاصة فالأولاد كالجوارح لا يمكن للسمع أن يحل محل البصر

جماليات اللغة :

اللغة والأسلوب :

- **الرقة والبهاء .**
- **مناسبة الألفاظ والتراكيب للغرض .**
- **الوصف الدقيق .**
- **الصور الفنية .**
- **الموسيقى .**
- **الإيقاع .**
- **المناقشة :**
- **١- بين أثر عاطفة الشاعر في التعبير عن مأساته في النص .**
- **عانى الشاعر تجربة الفقد ، فالفقيد ابنه ، مما جعل العاطفة لا مجال للكذب فيها .**
- **هذه العاطفة الصادقة التي أحرقت قلبه ، وصورت حزنه بصور تموج عاطفة ، ترسم خطوطها دلالات الألم .**

٢- من المخاطبان في البيت الأول في القصيدة ، وما دلالة هذا الخطاب .

- **المخاطبان هما العينان :**
- **بكاؤُكما يشفى وإن كان لا يُجدى**
- **فجودا فقد أودى نظيرُكمَا عندي**
- **فهو يخاطب عينيه مقرراً أن البكاء له أهمية في تخفيف الحزن«التطهير النفسي»، فهو يريح النفس البشرية... ومع حتميته - وفق رأي الشاعر- إلا أنه لا يجدي!! لأن البكاء والتفجع لا يعيدان الميت.. والنزعة العقلية هنا واضحة ومتأثرة بالعلوم الدخيلة مع الثقافة لعربية آنذاك كعلم الفلسفة والمنطق.**
- **٣- قال الشاعر :**
- **ولا بعته طوعاً ولكن غصبته**
- **وليس على ظلم الحوادث من معدي**
- **اشرح البيت ، وبين أثر الفاجعة في دفع الشاعر للتعبير عن محنته على هذا النحو.**
- **الفاجعة أفقدته توازنه وعقله .**
- **يريد الشاعر أن يقول إنني لم أرمه للموت بل أخذ غصبا وعنوة ، ولكنه يتعقل ويؤمن أن لا دافع للموت ولا دافع للقضاء والقدر.**

٤- كيف عبر الشاعر عن فكرة التكامل بين الأبناء في هذه القصيدة ؟

الأولاد كالجوارح لا يمكن للسمع أن يحل محل البصر.

يظهر هذا المعنى جليا في قوله :

وأولادُنا مثلُ الجَوارح أيُّها

فقدناه كان الفاجعَ البَيّنَ الفقْدِ

لكلِّ مكانٌ لا يسُدُّ اخْتِلاَلهُ

مكانُ أخيه في جَزُوع ولا جَلْدِ

هل العينُ بعدَ السَّمْع تكفي مكانَهُ

أم السَّمعُ بعد العين يَهْدِي كما تَهْدي

٥- بماذا توحي المفردات الآتية في سياقها : توخى ، أنجزت ، ألح، لذعا.

توخى : الشاعر هنا يزيد من ألمه حين يعبر عن أن المنايا قصدت ابنه ، لجلده بسياط الألم بكل قسوة.

أنجزت : غلبة الموت وجبروته.

ألح: حال النزف الشديد بقصد الموت في عناد غريب..

لذعا : أثارا الشجون والأحزان .

٦- بين الأساليب الآتية ، وغرضها في السياق : قاتل الله المنايا ، كيف اختار واسطة العقد ؟

قاتل الله المنايا : الدعاء ، أن تتلطف المنايا في اختيارها .

كيف اختار واسطة العقد؟: الاستفهام ويؤدي معنى الحيرة والقلق ولا سيما أن لاجواب .

٧- قال الشاعر :

طواه الردى عني فأضحى مزاره

بعيدا على قرب قريبا على بعد

استخرج الصورة الفنية ، والمحسن البديعي في البيت أعلاه، ووضح أثرهما في المعنى .

طواه الردى : صورة تجسد حال الموت ، وكأن الابن رداء يطوى ويلف ، ويغيب ، وقد أدت معنى قسوة الموت .

بعيد – قريب تجسيد البعد المادي (الجسد) أما القرب فهو يجسد دوام ذكرى الولد على بعده.

٨- بين المقصود بالبعد والقرب في البيت أعلاه.

البعد : تغييب الموت للجسد .

القرب : استمرار ذكر الميت .

٩- ما نوع الصورة البيانية في قول الشاعر : وأخلفت الآمال ما كان من وعد ، وبماذا توحي ؟

استعارة : وكأن الآمال شخص يخاف وعده ، مما يوحي باليأس وقلة الحيلة وانقطاع الرجاء.